غلطة: وبعدها نهاية العالم!

هى قصة الرعب الذى عاشته مراكز الدفاع الأمريكى ثلاث مرات فى الشهور القليلة الماضية: قصة الإنذار النووى.

واتضح فيما بعد أن الأمر لا يتعلق بأى تحركات سوفيتية ضد أمريكا، إنما صدرت الإشارات على أجهزة الإنذار.. خطأ ونتيجة خلل فقط.. بل إن بعض المسئولين عزا الأمر إلى إنذار كونى غامض، ربما أتى من الكواكب الأخرى.. وبذلك يتحقق ما تخيله العلماء من غزو سكان الكواكب الأخرى للكرة الأرضية.. بل ما كانت إشارات الإنذار هذه إلا مقدمة لهجوم نووى مرعب لتدمير الكرة الأرضية كلها، كما جاء فى فيلم «حرب الكواكب» أو «دكتور سيلتسام» الذى تحدث عن غزو أمريكى نحو موسكو وروسيا من الوجود.

أسيمة حسن چانو

وأسفرت النتائج بعد ذلك عن استعداد غزو فضائى خارجى، وان الإنذار جاء نتيجة لعطل فى الأجهزة الأمريكية.

كان ذلك فى يوم ٢ يونيو من هذا العام قبل منتصف الليل بقليل.. تحركت أجهزة الإنذار.. مرة من المرات التى تدخل فى نطاق الاحتمالات، ولكنها لا ينتظر أن تصبح حقيقة فى أى يوم.. رغم أن هناك خمس فرق مراقبة فى المركز الرئيسى الاستراتيجى لإطلاق الصواريخ النووية الذى يسمى بالانجليزية مختصرا (سالك).

كانت بداية الليلة روتينية كما هو الحال منذ عشرين عاما.. ولكن فى تلك الليلة حصل مالم يكن فى الحسبان، وإن كان قد تكرر للمرة الثالثة أو الرابعة فى الشهور الأخيرة.. فقد أعلن - بشدة - كومبيوتر المراقبة الذى يسمى فى المركز الاستراتيجى باسم (دايسك) عن تحرك صواريخ أرضية ومائية سوفيتية مجهزة بمفجرات نووية.. متجهة إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

ظهر هذا واضحا على الشاشة الكبيرة، كما ظهر معها كل الاقتراحات اللازمة وكل التدابير المناسبة التى ينبغى اتخاذها وتحديدها فى خلال ثوان فقط.. كما أن الكومبيوتر قد حدد أن يكون القرار الأخير على أعلى مستوى، وضغط «المراقب الأعلى» فى المركز النووى وهو يرتبه قائد عام على زر أحمر معلنا «الإنذار النووى» وانطلقت الصفارة عالية بشدة فى القلعة التى تمتد خمسين مترا طولا و ١٢ مترا عرضا. وأمسك القائد الأعلى بالتليفون، وقال كلمة السر فى تلك الليلة «سكاى بيرد» وهو اصطلاح لمستوى تحرك ذرى معين.. وكل تحرك له كلمة سر محددة معروفة لدى الطاقم فقط.. وبذلك أبلغت كل وحدات الصواريخ وطائرات القيادة التابعة لمركز إطلاق القنابل النووية.

وفى ثوان قليلة كان المدير العام للمركز «ريتشارد ايليس» قد علم بالأمر، ثم أعلن تعليماته بالضغط على زر خاص، وكانت كالتالى:

١ - أن يبدأ بالتحرك ربع الأسطول الذرى الأمريكى، وهو يعادل ١٠٠ قطعة من اليونج ب-٥٢.

٢ - كل حرس الصواريخ - ويبلغ مجموعهم ١٠٥٤ رجلا - وضعوا فى حالة الاستعداد الكامل، ولا يسمح لأى واحد بمغادرة القاعدة بأية حال من الأحوال.

٣ - وضعت كل القوات الذرية فى حالة التأهب القصوى.

٤ – وضع الطائرة الخاصة بالرئيس كارتر والمعدلة عن جامبو – جيت فى مطار « أندروز » قرب واشنطن فى حالة التأهب الكامل .

٥ – توضع تحت التصرف فى هاواى طائرة تحركات أربعة لإصدار الأوامر المنتقلة من قبل جهاز القيادة للقتابل الذرية . وذلك فى حالة ضرب المركز الآخر فى « أوماها » .

كل هذا كان يجب تنفيذه فى خلال ثوان قليلة من بدء ظهور إشارة الإنذار النووى المفاجئ .

والغريب فى الأمر أن الرئيس كارتر لم يوقظ فى تلك الليلة رغم أنه هو الوحيد فى كل الولايات المتحدة الذى يملك حق إصدار أمر الهجوم . وبعد ٣ دقائق و ١٢ ثانية كان قد ثبت وتأكد بوضوح ، وبما لا يدع مجالا للشك أن هناك شيئا « كالطيف » ظهر على الشاشة واللوحات المضاءة ظهر هذا فى مركز « سالك » كما ظهر فى مركز « نوراد » مركز الدفاع الجوى لأمريكا الشمالية فى « كيبن ماونتن » من حيث جاء الإنذار الكونى النووى فى البداية .

وقد أعلنت وزارة الدفاع الأمريكية بعد ذلك بوقت قصير أن طيف دائرة صغيرة فى كومبيوتر نوراد لا يتعدى قطرها بوصة واحدة . هى السبب فى هذا الرعب كله !

هذه « البقعة » التافهة أحدثت كل هذا الفزع فى العالم كله . ولم تعد الأجهزة إلى حالتها من الاستقرار إلا بعد عشرين دقيقة . حيث انتفت حالة التأهب القصوى التى خلقت جوا فظيعا من التوتر .

عشرون دقيقة قالت عنها وكالة تاس السوفيتية « إنها وضعت العالم كله على شفا الحرب الذرية » .

ولم يقتصر الأمر على أمريكا بل انتقل هذا الرعب إلى روسيا أيضا ، وقال هارولد براون « لا يمكن أبدا لأجهزة الكومبيوتر أن تتفوق على الذكاء البشرى وتتسبب فى إشعال حرب مدمرة » .

ولكن الحقيقة كما تقول « نيويورك تايمز » أن براون قد أصيب بفزع حقيق . أما القائد العام « دافيد . س جونس » فقد دعى سريعا لفحص الحالة الراهنة فى مركز « نوراد » .

أما أعضاء مركز القيادة فرع « دلتا » فقد كانوا أول من سبق إلى التحقق من كذب الإنذار . وبأنه لا توجد أى صواريخ سوفيتية على وشك الانطلاق « وذلك لأنهم طوروا أجهزتهم للوصول إلى ما يسمونه بالقراءة المباشرة التحذيرية » .

بعد ذلك بأيام ثلاثة . وبالذات فى يوم ٦ يونيو أعطى مركز « نوراد » نفسه إنذارا نوويا . . كاذبا أيضا !

وسجلت الأجهزة من جديد حالات التأهب القصوى . واستعدت المراكز كلها للعمل . وشمل الرعب كل شىء من جديد .

استمر هذا أيضا ثلاث دقائق حيث تأكد بعد ذلك أن الإنذار لم يكن حقيقا . وهكذا توضع أمريكا فى حالة رعب . ثم تأهب هجوم ذرى ثلاث مرات فى خلال الشهور الستة الماضية . وذلك عبر أجهزتها الالكترونية المتفوقة والكومبيوترات التى لا تخطئ أبدا ! . .

« إنه لعب بالنار » كان تعليق الجريدة السوفيتية الرسمية « البرافدا » على الفشل الذى تورطت فيه الأجهزة الأمريكية . . وقد كان رد الفعل الروسى فى غاية العصبية على ما حدث . فإن ٧٥٪ من القوى النووية السوفيتية كان يمكن أن يضيع عند أول هجوم .

وأخذ السؤال المرعب يطرح نفسه فى أوروبا : « هل يمكن قيام حرب ذرية عن طريق الخطأ ؟ » .

ورغم إمكانية قيام مثل هذه الحرب . نظرا لما توالى أخيرا من أحداث . فإن « جيرالد دينين » سكرتير الدولة لوزارة الدفاع الأمريكية والمسئول الأول عن نظام الإنذار الأمريكى . صرح « إنه من المستحيل تنفيذ أية عملية لا يمكن الرجوع فيها » . فهل هذا يعنى تعبيرا عن الحرص الأمريكى وضبط النفس الذى يتجاوز الحد أحيانا ؟ .

على أن السؤال الأخطر . هو إلى أى حد يمكن أن تضبط روسيا نفسها إذا ما حصل مثل هذا الإنذار الخاطئ لديها ؟ وإلى أى حد يمكنها تدارك إشعال حرب نووية ؟

فالمعروف أن الروس كثيرا ما يفقدون تماسك أعصابهم بمنتهى السهولة . ولا يتورعون عن القيام برد فعل مباشر دون روية أو تمهل !

بالإضافة إلى كل هذا فإنه لا يمكن الاعتماد أبدا كلية على الخط الساخن بين موسكو وواشنطن . وهو فى الحقيقة لا يشكل حوارا مباشرا بين رئيس ورئيس . إنما يعتمد على وسائل للكس متبادلة . بحيث لا يبق أى وقت كاف « للمهلة » إشعال أية حرب نووية .

ويعلن « الاستراتيجيون » أو علماء الفن الحربى الذرى بأن المسافة الزمنية التى ينبغى البت أثناءها للقيام بالهجوم الذرى أو الرد السريع . قصيرة إلى حد . « مصيرى » فظيع . ومثال على ذلك . أن تنفيذ عملية إطلاق صواريخ الغواصات الذرية لا يطول بحال عن ١٥ دقيقة .

وهكذا نستطيع أن نتصور قيمة الوقت الضائع حين تأخر إيقاظ الرئيس الأمريكى كارتر ثلاث دقائق كاملة . كما صرح مؤخرا المرشح الأمريكى « رونالد ريجان » ويضيف أنه من الخاطر أن نخر عشر دقائق كاملة قبل أن يبلغ الرئيس الأمريكى . إذا ما تعود الخبراء بعد ذلك على مثل هذه الأعطال مستقبلا .

كل هذا أيقظ قلقا كبيرا فى الأوساط الغربية . وكذلك الشرقية . على اعتبار أن أمريكا هى مركز الجهاز العصبى

مركز الإرسال والاستقبال فى طائرة الرئيس الخاصة

الطائرة المخصصة للرئيس الامريكى لإلقاء الأوامر

المدخل الرئيسى الى مركز نوراد للمراقبة

قمر التجسس الأمريكي الدائم.

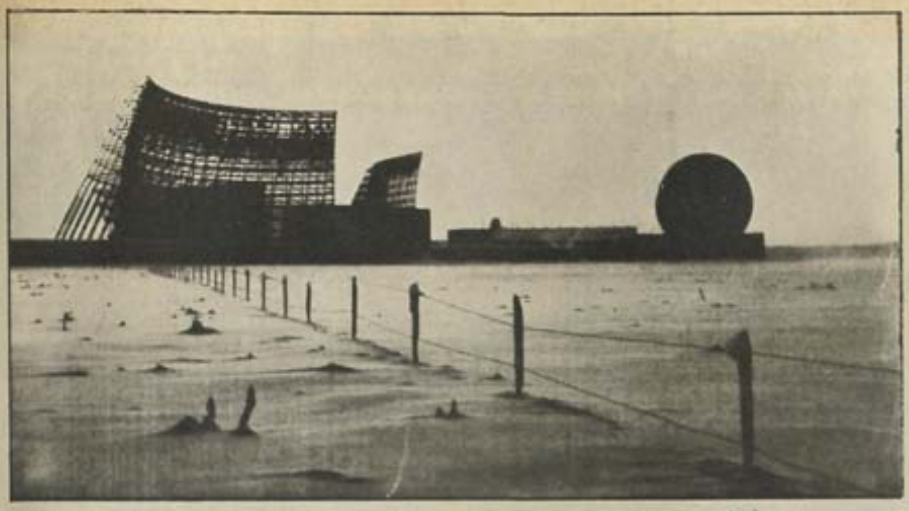

مركز الرادار الرئيسي في ألاسكا.

العسكرى فى العالم.

بل أن نعلم أن اللوبى العظمين قد حشدنا ٦٠ ألفا من القنابل الذرية والهيدروجينية وهذا يعنى – كما يضيف معهد دراسات السلام فى استوكهولم – المسمى (سيبرى) : (١٣) ألف ميجاطن من طاقة الانفجار الذرى فى العالم كله . أى يعادل ما ألقى على هيروشيما مليون مرة.

وهذا يعنى أيضا أمرا يثير الفزع والرعب حقا ، وهو أن كل فرد فى العالم حتى من الأطفال والشيوخ يأخذ نصيبا من هذه الطاقة مما يعادل ٣ أطنان متفجرات ذرية ! وهو كم فوق التصور بالتأكيد.

ويضيف المعهد السويدى الذى أصدر فى الأسابيع الأخيرة كتابا فى هذا المجال ، بأن الخطر أصبح داهما وقريبا باستعمال هذه المتفجرات النووية سواء عن طريق الصدفة أو الخطأ أو الجنون . خصوصا فى العشرين سنة الأخيرة . فالمواصفات الذرية لم توجد قبل عام ١٩٦٠ فى أمريكا ولا فى روسيا . بينما استطاع الروس منذ ذلك التاريخ أن يحشدوا أكثر من (١٧٠) عواصة نووية ، والأمريكان حشدوا أكثر من (١١٥) عواصة حاملة للسلاح القاتل المدمر.

بل يستطيع واحد من الصواريخ المسماة (بوسايدون) المجهز فى غواصة نووية أمريكية أن يدمر كل المدن السوفيتية التى لا يزيد عدد سكانها على (١٥٠) ألف نسمة وهذا يعنى ثلث الشعب الروسى.

وفى كل غواصة ذرية من النوع الجديد المسمى (تريدنت) ويتكلف بنائها حوالى مليون دولار يوجد ٢٤ صاروخا . فى كل صاروخ عشرة رءوس ذرية تجهز فى حاملات القنابل الذرية الأمريكية ب ٥٢ .

وكل بـ ٥٢ تستطيع أن تمحو من الوجود نهائيا ست مدن يزيد عددسكانها على المليون ، وكل مدينة يمكن أن تدمر بقوة تعادل (١٥) مرة أكثر مما ألقى على هيروشيما . ويبلغ مجمل ما جهزه الأمريكان فى صواريخهم حوالى (١١٨٩٤) رأسا متفجرا نوويا.

وقد أعلنت اللجنة التنفيذية لمجلس الشيوخ الأمريكى أنه :

حتى لو استطاع الروس تعطيل تسعة أعشار السلاح الذرى الأمريكى فى هجوم سريع مفاجئ . فإن الباقى يكفى بالتأكيد لتدمير مراكز الاقتصاد والتجمعات البشرية الروسية تماما .

والعكس صحيح ، فإن ثلث السلاح الذرى الروسى – ويعادل تقريبا ٦ آلاف رأس نووى متفجر – يكفى لتدمير الولايات المتحدة الأمريكية كلها.

ويقول الخبير الحربى الأمريكى «هيرمان كان» : إننا نخاف حرب الصدفة أكثر مما نخاف الحرب المدروسة مسبقا .

وقد تطورات بلا شك الأجهزة الأمريكية بعد أن حدث فى الحسبات أن ظهر على شاشات المراقبة ما يؤكد أن أسطولا ذريا سوفيتيا قد تحرك واتضح فيما بعد أنه كان قطيعا من الأبوز ..

ولكن المرعب فى الأمر أن صواريخ الغواصات الذرية السوفيتية لا تحتاج إلى أكثر من ربع ساعة فقط من لحظة انطلاقها فى الأطلنطى إلى لحظة الوصول على الشواطئ الأمريكية.

وإعطاء أوامر إطلاق الصواريخ فى أمريكا لا يتم إلا بعد سلسلة معقدة بين الغرف السرية المختلفة يكون مطافها قبل الأخير عند مستشار الرئيس الأمريكى بريزنسكى الذى يتحتم عليه أن يبلغ رئيس الولايات المتحدة فى الثو واللحظة ..

ولا يملك فى أمريكا كلها إعطاء هذه الأوامر أولا إلا الرئيس الأمريكى نفسه . لماذا ؟

يقال إنه حرص وخوف أن يكون الدافع أحيانا حقدا على الروس . أو بسبب استفزازات تتحكم فى إصدار الأوامر ، مما يمكن أن يجر الويل والدمار على العالم كله.

ويعطى الرئيس الأمريكى أوامره مما يسمى « بالغرفة الحربية » وهذه الغرفة يمكن أن تكون – فى حالات الطوارئ – طائرة متجولة معدلة لهذا . وهى تحلق باستمرار ليلا ونهارا منذ عام ١٩٦١ فوق الولايات المتحدة الأمريكية ، وقد أعدت معها ثلاث من طائرات الهليوكبتر مجهزة تماما بكل الأجهزة المعملية مما يمكن الرئيس الأمريكى من إعطاء أوامره كاملة.

ولا يمكن لأحد من العسكريين مهما علت رتبته أن يقوم بإصدار أمر إطلاق أى صاروخ نووى.

وإذا تلقى المسئولون الأمر بالإطلاق فإن هذا يحدث تماما كما يحدث فى فتح خزائن البنوك.

إذ يجب أن يفتح صمام الأمان اثنان من كبار الضباط بمفتاحين خاصين . وهذا لا يحدث أيضا إلا مع كلمة السر . التى تختلف بمقدار خطورة الوضع . ويزداد الأمر صعوبة مع الأسطول الذرى بسبب صعوبة وصول الإشارات والأوامر . ولهذا أوجد الخبراء العسكريون الأمريكان ما سموه « بكعب أخيل » فالغواصات النووية ترقد بعمق ٤٠٠ متر تحت سطح الماء . ولهذا فقد جهزت كل غواصة بنوعين من الأيربال ذى التيار المنخفض جدا ، يترك واحد منهما فى الأعلى ، والثانى يسحب مع الغواصة بطول ٥١٠ أمتار.

ورغم كل هذا فقد يخيل إلينا أن الشعب الأمريكى مثلا يكاد يموت من الخوف حين يحدث أى إنذار على الشاشات يعلن هجوما نوويا روسيا .

ولكن الحكاية ليست هكذا ، فقد حدثت فى ٢٠ فبراير من عام ١٩٧١ حالة مشابهة – إنذار نووى – ووزعت نشرات الإنذار على كل محطات الإذاعة والتليفزيون . لكن الغريب أن الأمريكان لم يرتجفوا ، ولم يموتوا من الرعب ، بل إن الكثيرين منهم – كما أثبت الاستفتاء بعد ذلك – ظل يتفرج على قنوات التليفزيون . رغم أن استمرار إعلان الإنذار النووى ظل يتردد فى المحطات كلها على مدى ساعة إلا ربعا.

ويرجع المختصون هذه اللامبالاة إلى عدم الثقة فى الأجهزة وفى النشرات ، حتى بين العاملين فى المراكز.

فقد حدث أثناء إنذار العام الفائت أيضا الذى حدث فى نوفمبر ، أنه بالرغم من أن الرادار أعطى إشارة بتحرك نووى سوفيتى على المواقع الأمريكية ، فإن أحدا لم يعط إنذارات لطيارى قاذفات القنابل الذين يعملون فى سلاح.

وكان أن حلقت بضع طائرات أمريكية وكتيبة لمواجهة الصواريخ التى كان يفترض أنها ستهاجم المواقع . حتى إن الحامبو الخصصة . للرئيس الأمريكى ارتفعت فى الجو دون انتظار الإشارة من الرئيس ، رغم أن هذا يخالف القوانين صراحة ، ولذلك قال ضابط كبير مسئول فى البنتاجون ، إننا ننفق مليارات الدولارات لنضع أسلحتنا الذرية فى حالة طوارئ دائمة تمسك بأية إشارة تحدث فى السماء . ولكن حين يحدث أى شىء فإن الأمور تسير كما لو أن احدا لا يهتم بما يحدث أبدا ».

ويرجع الخبراء سبب أعطال أجهزة الإنذار فى المرة الأخيرة إلى أن هناك تغييرات أجريت فيها أضررت إضرارا بليغا بها ، كما اتضح أيضا أن (٣٥) من أجهزة الكومبيوتر الضخمة قد تقادمت مع الوقت ، ولذلك فإن من الجائز ألا تكون من الدقة بحيث تعمل فى مواجهة الخطر الحقيقى.

وقد علق مراسل جريدة « تسايت » الألمانية الكبرى فى واشنطن ، « أن المرء يخشى أن يصل الإخفاق فى الأجهزة النووية إلى ما وصل إليه حال عملية إنقاذ الرهائن فى إيران ، أى علامة أخرى على فشل السلطة ، وانعدام الثقة فى الحكومة الأمريكية ».

ويقول أحد كبار الضباط فى البنتاجون « إن الأمر لا يتجلى فى مقدرتنا على صد الهجوم ، ولا فى عدد أسلحتنا وأنواعها ، ولكن فى مقدرتنا على اكتشاف الهجوم النووى الروسى بسرعة البرق ثم التصرف بما يناسب الموقف ».

ويرى الخبراء أن الأجهزة تعمل الآن على نظام التحرك عند التصادم ، ولكن يراون صرح أخيرا أنها يجب أن تتطور إلى نظام التحرك عند الإنذار.

ولكن هل هذا يعنى أن يعطى الرئيس كارتر الإشارة بإشعال الحرب النووية بمجرد أن الرادار أعطى إشارة إنذار قد تكون خاطئة كما حدث ؟

إن قيام الحرب النووية أصبح احتمالا ممكنا جدا ، وسيتم بالتأكيد عن طريق الخطأ ! !